

(٣٠٧)

هذه القصيدة اسمها «المؤنسة» وهي أطول قصيدة أنشدها وواظب عليها ، قيل إنه كان يحفظها دون أشعاره ، وأنه كان لا يخلو بنفسه إلا وينشدها . وفي الخزانة أنها أشهر قصائده ، وهي طويلة جدا :

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالسَّيْنِ الْخَوَالِيَا	وَأَيَّامَ لَا نَحْشَى عَلَى اللَّهِوَ نَاهِيَا
وَيَوْمَ كَظِلُّ الرَّمَحِ قَصَرْتُ ظِلَّهُ	بِلَيْلَى فَلَهَا نِي وَمَا كُنْتُ لَاهِيَا
بِشَمْدِينَ لَأَحْتِ نَارُ لَيْلَى وَصُحَّتِي	بِذَاتِ الْغَضَى تَرْجَى الْمَطَى التَّوَجِيَا
فَقَالَ بَصِيرُ الْقَوْمِ الْمَحْتُ كَوَكْبَا	بَدَا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ فَرْدًا يَمَانِيَا
فَقُلْتُ لَهُ : بَلْ نَارُ لَيْلَى تَوَقَّدَتْ	بِعَلِيَا تَسَامَى ضَوْؤُهَا فَبَدَا لِيَا
فَلَيْتَ رِكَابَ الْقَوْمِ لَمْ تَقْطَعَ الْغَضَى	وَلَيْتَ الْغَضَى مَاشَى الرُّكَابَ لِيَالِيَا
فِيَا لَيْلَ كَمْ مِنْ حَاجَةٍ لِي مُهِمَّةٍ	إِذَا جِئْتُكُمْ بِاللَّيْلِ لَمْ أُدْرِ مَا هِيَا
خَلِيلِي إِنْ تَبَكَّيَانِي أَلْتَمِسْ	خَلِيلًا إِذَا أَنْزَفْتُ دَمْعِي بَكِي لِيَا

المراجع :

الديوان ، مسالك الأبصار ٩ / ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، الأغاني ج ١ ص ٨ ، ٤١٧ و ج ٢ ، ١٠ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٣ ، ج ٤ / ٢٩١ ، ٢٩٢ و ج ٩  
ترجمة قيس بن ذريح ، تزيين ٥٩ قضاها لغيري والقصيدة في ٦٨ — ٧٠ والزهرة ٢٦ ، ٢٨ ، ٤٠ ، ٢٦٠ ، ٣٠٣ ، ٣٣٢ و ١٢٢ معاذ ليلي ، ٣١٦ معاذ ليلي وانظر ٢٨٢ السطر ١٤ ،  
والشعر والشعراء ٣٦٤ ، عيون الأخبار ٤ / ١٣٩ ، محاضرات الأدباء ج ٢ / ١٩ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٨ ، ٤٤ ونسب منها لابن الظنرية ٢٢ ، وفي ج ٢ / ٣٠ ، ١١١ جميل ، واللسان ١٧  
/ ٦٣ « زين » المجنون ، فوات ترجمته السمت ٨٤٢ ، ٩٥٠ ، مصارع العشاق ٢٣٨ ، ذيل  
الأمالي ١٠٣ الأقرع بن معاذ ، الأمالي ١ / ٢١٥ ، ٢٢١ ، المرزوقي ١٢٥٠ بدون نسبة ،  
وكذلك ١٣٤٦ ، المستطرف ٢ / ٢١٦ ، الخزانة ٤ / ٢٩٥ ، الكامل ١٦٧ ، الباب ٢٤ ،  
ديوان المعاني ١ / ٢٨١ .

وأغلب أبيات المؤنسة في بسط سامع المسامر من ص ٨٥ — ٨٩ مع اختلاف وحشو ساقط  
ونص المؤلف على ركاكته .

فَمَا أُشْرِفُ الْأَيْفَاعَ إِلَّا صَبَابَةً  
وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّيْثَيْنِ بَعْدَمَا  
لَحَى اللَّهُ أَقْوَامًا يَقُولُونَ إِنَّا  
وَعَهْدِي بِلَيْلَى وَهِيَ ذَاتُ مُوَصَّدٍ  
فَشَبَّ بَنُو لَيْلَى وَشَبَّ بَنُو ابْنِهَا  
إِذَا مَا جَلَسْنَا مَجْلِسًا نَسْتَلِذُّهُ  
سَقَى اللَّهُ جَارَاتِ لَيْلَى تَبَاعَدَتْ  
وَلَمْ يُنْسِنِي لَيْلَى افْتِقَارٌ وَلَا غِنَى  
وَلَا نِسْوَةٌ صَبُغْنَ كِبْدَاءَ جَلْعَدًا  
خَلِيلَى لَا وَاللَّهِ لَا أَمْلِكُ الَّذِي  
قَضَاهَا لِغَيْرِي وَابْتَلَانِي بِحُبِّهَا  
وَخَبَرْتُمَانِي أَنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلٍ  
فَهَذِي شُهُورُ الصَّيْفِ عَنَّا قَدْ انْقَضَتْ  
فَلَوْ أَنْ وَاشِرَ بِالْيَمَامَةِ دَارُهُ  
وَمَاذَا لَهُمْ لَا أَحْسَنَ اللَّهُ حَالَهُمْ  
وَقَدْ كُنْتُ أَغْلُو حُبَّ لَيْلَى فَلَمْ يَزَلْ  
فِيَا رَبِّ سَوْ الْحُبِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا  
فَمَا طَلَعَ النَّجْمُ الَّذِي يُهْتَدَى بِهِ  
وَلَا سِرْتُ مَيْلًا مِنْ دِمَشْقَ وَلَا بَدَا  
وَلَا سُمِّيَتْ عِنْدِي لَهَا مِنْ سَمِيَّةٍ  
وَلَا هَبَّتِ الرِّيحُ الْجَنُوبُ لِأَرْضِهَا  
فَإِنْ تَمْنَعُوا لَيْلَى وَتَحْمُوا بِلَادَهَا

وَلَا أُنْشِدُ الْأَشْعَارَ إِلَّا تَدَاوِيَا  
يَظُنَّانِ كُلُّ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا  
وَجَدْنَا طَوَالَ الدَّهْرِ لِلْحُبِّ شَافِيَا  
تَرُدُّ عَلَيْنَا بِالْعَشِيِّ الْمَوَاشِيَا (١)  
وَأَغْلَاقُ لَيْلَى فِي فُؤَادِي كَمَا هِيََا  
تَوَاشَوْا بِنَا حَتَّى أَمَلُ مَكَانِيَا  
بِهِنَّ النَّوَى حَيْثُ اخْتَلَلْنَ الْمَطَالِيَا  
وَلَا تَوْبَةٌ حَتَّى اخْتَضَنْتُ السَّوَارِيَا  
لِتُشْبِهَ لَيْلَى ثُمَّ عَرَضْنَهَا لِيَا (٢)  
قَضَى اللَّهُ فِي لَيْلَى وَلَا مَا قَضَى لِيَا  
فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلَى ابْتِلَانِيَا  
لِللَّيْلِ إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَاسِيَا  
فَمَا لِلنَّوَى تَرْمِي بِلَيْلَى الْمَرَامِيَا  
وَدَارِي بَأَعْلَى حَضَرِ مَوْتِ أَهْتَدَى لِيَا  
مِنْ الْحَظِّ فِي تَصْرِيمِ لَيْلَى حَبَالِيَا  
بِي النِّقْضِ وَالْإِبْرَامِ حَتَّى عَلَانِيَا  
يَكُونُ كَفَافًا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا  
وَلَا الصُّبْحُ إِلَّا هَيَّجَا ذِكْرَهَا لِيَا  
سُهَيْلٌ لِأَهْلِ الشَّامِ إِلَّا بَدَا لِيَا  
مِنْ النَّاسِ إِلَّا بَلْ دَمَعِي رِدَائِيَا  
مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا بِتُ لِلرَّيْحِ حَانِيَا  
عَلَيَّ فَلَنْ تَحْمُوا عَلَيَّ الْقَوَافِيَا

(١) مواصد من الأصداء وهو قميص صغير يلبس تحت الثوب .

(٢) الجلعد : المسنة . والكبداء المرأة الضخمة الوسط .

فَأَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ أَنِّي أَحِبُّهَا  
قَضَى اللَّهُ بِالْمَعْرُوفِ مِنْهَا لِغَيْرِنَا  
وَإِنَّ الَّذِي أَمَلْتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ  
أَعَدُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ  
وَأُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لَعْنَتِي  
أَرَانِي إِذَا صَلَّيْتُ يَمُنْتُ نَحْوَهَا  
وَمَا بِي إِشْرَاكَ وَلَكِنْ حُبُّهَا  
أَحِبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ اسْمَهَا  
خَلِيلَتِي لَيْلَى أَكْبَرُ الْحَاجِ وَالْمُنَى  
لَعْمَرِي لَقَدْ أَبْكَيْتَنِي يَا حَمَامَةَ الْعَقِيبِ  
خَلِيلَتِي مَا أَرْجُو مِنَ الْعَيْشِ بَعْدَ مَا  
وَتَجَرَّمُ لَيْلَى ثُمَّ تَزْعُمُ أَنِّي  
فَلَمْ أَرِ مِثْلَيْنَا خَلِيلَتِي صَبَابَةٍ  
خَلِيلَانِ لَا تَرْجُو اللَّقَاءَ وَلَا نَرَى  
وَلَانِي لِأَسْتَحْيِكَ أَنْ تَعْرِضَ الْمُنَى  
يَقُولُ أَنْاسٌ عَلَّ مَجْنُونٌ عَامِرٍ  
بِي الْيَأْسُ أَوْ دَاءُ الْهَيْامِ أَصَابَنِي  
إِذَا مَا اسْتَطَالَ الدَّهْرُ يَا أُمَّ مَالِكٍ  
إِذَا اكْتَحَلْتُ عَيْنِي بِعَيْنِكَ لَمْ تَزَلْ  
فَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شِئْتَ أَشَقَيْتِ عَيْشَتِي  
وَأَنْتِ الَّتِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عِدَا

فَهَذَا لَهَا عِنْدِي فَمَا عِنْدَهَا لِيَا  
وَبِالشَّوْقِ مِنِّي وَالْغَرَامِ قَضَى لِيَا  
أَشَابَ فُوَيْدِي وَاسْتَهَامَ فُؤَادِيَا<sup>(١)</sup>  
وَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا لَا أَعُدُّ اللَّيَالِيَا  
أَحَدْتُ عَنْكَ النَّفْسَ بِاللَّيْلِ خَالِيَا  
بَوَجْهِهِ وَإِنْ كَانَ الْمُصَلَّى وَرَائِيَا  
وَعُظْمَ الْجَوَى أَعْيَا الطَّيِّبِ الْمُدَاوِيَا  
أَوْ أَشَبَّهُهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَا  
فَمَنْ لِي بِلَيْلَى أَوْ فَمَنْ ذَا لَهَا بِيَا  
سِقِ وَأَبْكَيْتِ الْعُيُونَ الْبَوَاكِ يَا  
أَرَى حَاجَتِي تُشْرَى وَلَا تُشْتَرَى لِيَا  
سَلَوْتُ وَلَا يَخْفَى عَلَى النَّاسِ مَا بِيَا  
أَشَدُّ عَلَى رَغَمِ الْأَعَادِي تَصَافِيَا  
خَلِيلَيْنِ إِلَّا يَرْجُونَ تَلَاقِيَا  
بَوْصْلِكَ أَوْ أَنْ تَعْرِضِي فِي الْمُنَى لِيَا  
يَرُومُ سُلُوءًا قُلْتُ أَنِّي لِمَا بِيَا  
فَأَيَّاكَ عَنِّي لَا يَكُنْ بِكَ مَا بِيَا  
فَشَانُ الْمَنَايَا الْقَاضِيَاتِ وَشَانِيَا  
بِخَيْرٍ وَجَلَّتْ غَمْرَةٌ عَنْ فُؤَادِيَا  
وَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شِئْتَ أَنْعَمْتَ بَالِيَا  
يَرَى نِضْوَ مَا أَبْقَيْتِ إِلَّا رَثَى لِيَا

(١) الفوید تصغیر الفود : وهو معظم شعر الرأس .

أَمْضِرُوبَةً لَيْلَى عَلَى أَنْ أْزُورَهَا  
 إِذَا سِرْتُ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءِ رَأَيْتَنِي  
 يَمِينًا إِذَا كَانَتْ يَمِينًا وَإِنْ تَكُنْ  
 وَأَنْتِ لَا تَسْتَعِشِي وَمَا بِي نَعْسَةٌ  
 هِيَ السَّحَرُ إِلَّا أَنَّ لِلْسَّحَرِ رُقِيَّةً  
 إِذَا نَحْنُ أَذْلَجْنَا وَأَنْتِ أَمَامَنَا  
 ذَكَتْ نَارُ شَوْقِي فِي قُودِي فَأَصْبَحْتُ  
 إِلَّا أَيُّهَا الرُّكْبُ الْيَمَانُونَ عَرَّجُوا  
 أَسْأَلُكُمْ هَلْ سَالَ نَعْمَانُ بَعْدَنَا  
 إِلَّا يَا حَمَامِي بَطْنِ نَعْمَانَ هِجْمَا  
 وَأَبْكِبْتُمَانِي وَسَطَ صَحْبِي وَلَمْ أَكُنْ  
 وَيَا أَيُّهَا الْقَمْرِيَّتَانِ تَجَاوَبَا  
 فَإِنْ أَنْتُمَا اسْتَطَرَبْتُمَا أَوْ أَرْدُتُمَا  
 إِلَّا لَيْتَ شِعْرِي مَا لِلَّيْلِ وَمَالِيَا  
 إِلَّا أَيُّهَا الْوَأَشِي بَلِيلَى إِلَّا تَرَى  
 لَيْنَ ظَعْنِ الْأَخْبَابِ يَا أُمَّ مَالِكِ  
 فَيَا رَبِّ إِذْ صِيرْتَ لَيْلَى هِيَ الْمُنَى  
 وَإِلَّا فَبَعْضُهَا إِلَيَّ وَأَهْلُهَا  
 عَلَى مِثْلِ لَيْلَى يَقْتُلُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ  
 خَلِيلِي إِنْ ضُنُّوا بَلِيلَى فَقَرِّبَا

وَمَتَّخِذْ ذَنْبًا لَهَا أَنْ تَرَانِيَا  
 أَصَانِعُ رَحْلِي أَنْ يَمِيلَ حَيَالِيَا  
 شِمَالًا يُنَازِعُنِي الْهَوَى عَنْ شِمَالِيَا  
 لَعَلَّ خَيْالًا مِنْكَ يَلْقَى خَيَالِيَا  
 وَأَنْتِ لَا أَلْفِي لَهَا الدَّهْرَ رَاقِيَا  
 كَفَا لِمَطَايَانَا بِذِكْرِكَ هَادِيَا  
 لَهَا وَهَجٌ مُسْتَضْرَمٌ فِي قُودِيَا  
 عَلَيْنَا فَقَدْ أَمْسَى هَوَانَا يَمَانِيَا  
 وَحُبٌّ إِلَيْنَا بَطْنُ نَعْمَانَ وَادِيَا  
 عَلَى الْهَوَى لَمَّا تَغْنَيْتُمَا لِيَا  
 أَبَالِي دُمُوعَ الْعَيْنِ لَوْ كُنْتُ خَالِيَا  
 بِلَخْنَيْكُمَا ثُمَّ اسْجَعَا عِلَلَانِيَا  
 لَحَاقًا بِأَطْلَالِ الْغَضَى فَاتَّبَعَانِيَا  
 وَمَا لِلصَّبَا مِنْ بَعْدِ شَيْبِ عَلَانِيَا  
 إِلَى مَنْ تَشَبَّهَا أَوْ بَعْدَ جِئْتُ وَاشِيَا  
 فَمَا ظَعْنُ الْحُبِّ الَّذِي فِي قُودِيَا  
 فَرِئْتِي بِعَيْنَيْهَا كَمَا زِنْتَهَا لِيَا  
 فَإِنِّي بَلِيلَى قَدْ لَقِيتُ الدَّوَاهِيَا  
 وَإِنْ كُنْتُ مِنْ لَيْلَى عَلَى الْيَأْسِ طَاوِيَا  
 لِي النَّعْشَ وَالْأَكْفَانَ وَاسْتَغْفِرَا لِيَا